

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د. وقيع الله قسم السيد أحمد

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الليلىة

(*) د. وقيع الله قسم السيد أحمد

مقدمة:

قال رضي الله عنه: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضو عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)^(١).

في هذا البحث يود الباحث أن يقف على سنة واحد من خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم الذين أمرنا أن نتبع سنتهم وهو الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولا يستطيع الباحث في هذا البحث القصير أن يتناول سنة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كاملة بل فقط يحاول أن يقف على واحدة من أبرز سننه الإدارية وهي تجواله ليلاً بالمدينة المنورة إبان خلافته للمسلمين، تفقداً لرعيته وتحسناً لمشاكلهم فهو القائل (لو عثرت بغلة بالعراق لرأيتني مسئولاً عنها أمام الله لِمَ لم أسو لها الطريق)^(٢) فرعايته للرعية لا تقف على الإنسان وحده بل تتعداه للحيوان كما في الحديث أعلاه.

وقد كان لهذه الجولات الليلىة التي كان يقوم بها الخليفة عمر بالمدينة الدور الكبير في

(*) عميد مدرسة الألسن بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية .

(1) سنن أبي داود، دار الفكر بيروت، ط٣، ١٩٩٩م، ج٤، ص ٢٠٦.

(2) فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، علي محمد محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية،

القاهرة، ٢٠٠٢م، دون طبعة، ص ١٨٨.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلية د. وقيع الله قسم السيد أحمد

الوقوف على الكثير من الأحداث والمواقف ومعالجتها، وما كان للخليفة عمر أن يقف عليها نهاراً لحياء أهلها من كشفها للخليفة عمر أو سواه.
مشكلة البحث:

الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الخليفة الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان شخصية بارزة في الصدر الأول للإسلام وقد عرف عنه السهر والاجتهاد في خدمة الرعية وكان كثير التجوال في الليل على الرعية لتفقد أحوالهم والوقوف على مشاكلهم وفي هذا البحث يستعرض الباحث بعضاً من هذه المشكلات متأملاً فيها وفي كيفية حلها. وقد صاغ الباحث مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

[١] ما مجالات التأمل؟

[٢] ما فوائد التأمل؟

[٣] ما الداعي لجولات الخليفة عمر رضي الله عنه الليلية؟

[٤] ما الدروس والعبر المستفادة من جولات الخليفة عمر الليلية؟

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث من الآتي:

[١] إلقاء الضوء على جانب من حياة أحد عظماء الإسلام وقادته الذين صاروا حداةً إلى نور الإسلام قولاً وعملاً وسلوكاً

[٢] الاقتداء بما جاء في سيرة الخليفة عمر بشتى جوانبها الإدارية والتربوية والاستفادة منها في الواقع التربوي المعاش والمعاصر.

[٣] النظر في كيفية معالجة الخليفة عمر لمشكلات الدولة في عصره واختياره للحلول التربوية المناسبة لكل مشكل على حدة.

أهءاف البءء:

هنالك عءة أهءاف ىرمى هءا البءء إلى ءءقىها منها:

- [١] ءءرف ببعض مناقب الخلىفة عمر رضى الله عنه.
- [٢] بىان أهملة ءأمل فى ءىة الفرء المسلم وءوره فى ءقوىة الإىمان والعقىة فى النفوس.
- [٣] اسءعراض الأحداث والمواقف الإنسانىة ءى واجهء الخلىفة عمر بن الخطاب وهو ىءول على رعىة لىلاً وأسالىب معلءتها.
- [٤] اسءءلاص ما فى هءه الأحداث من ءروس وعبر وقىم ءربوىة.
- [٥] لء ءنظر إلى أهملة ءفءء الراعى لرعىة للوقوف على أءوالهم ومشاكلهم وبىان ضرورة ءلك.

منهء البءء:

اىبع الباءء فى هءه ءءاسة المنهء الوصفى ءءلىلى والمنهء ءارىءى.

هىكل البءء:

ىءكون هءا البءء من الإءار العام، وءلاءة مباحء، وهى:-

المبءء الأول: الخلىفة عمر بن الخطاب ءىاته ومناقبه.

المبءء ءانى: ءأمل فضله ومءالاته وفوائءه.

المبءء ءالء: ءأملات ءربوىة فى جولات الخلىفة عمر بن الخطاب اللىلىة.

المبحث الأول

الخليفة عمر بن الخطاب حياته ومناقبه

مدخل:

حياة الخليفة عمر حياة واسعة وعريضة وكذلك مناقبه يصعب تناولها في هذا المبحث، قال عنه محمد رضا "عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين، هو ذلك الرجل العظيم الذي يعد من أقوى رجال التاريخ شكيمة وأشدهم بأساً وأسدهم رأياً وأبعدهم نظراً، وأعفهم نفساً وأطهرهم ذمةً وأنقاهم ذيلاً، فحياته جديرة بأن تدرس درساً دقيقاً، إذ كان مثال الشهامة واليقظة والعدل والإنصاف، والسهر على الرعية، والزهد والتقشف والاستماتة في إيصال الخير إلى كل فرد من أفراد الرعية، لا يجابي كبيراً أو غنياً أو قريباً ولا يستصغر شأن صغير أو فقير"^(١). فرجل هذه صفاته وشمائله لا يستطيع الباحث في هذه السطور أن يوفيه حقه، فقط يحاول الباحث أن يقف على جانب من حياته ومناقبه بقدر ما يسمح به موضوع البحث ومساحته علّه يكون بذلك قد ألقى ضوءاً ولو يسيراً على هذه السيرة الضخمة العظيمة.

اسمه ونسبه وكنيته:

قال محمد بن سعد: "وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي ابن كعب، ويكنى أبا حفص وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم"^(٢).

(1) أخبار عمر وعبدالله بن عمر، علي وناجي الطنطاوي، المكتب الإسلامي، ط ٨، ١٩٨٣م، ص ١٢.

(2) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لابن الجوزي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ٢، ١٩٨٢م، ص ٩.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د . وقيع الله قسم السيّد أحمد

مولده:

ولد الخليفة عمر بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة^(١)، وروي عن الإمام عمر قوله: (ولدت بعد الفجار الأعظم بأربع سنين)^(٢).

إسلام عمر:

قال علي وناجي الطنطاوي: (إن أول شعاعة من نور الإيمان لامست قلبه، يوم رأى نساء قريش يتركن بلدهنَّ ويرحلنَّ إلى بلد بعيد عن بلدهن، بسبب ما لقين منه ومن أمثاله، وعاتبه ضميره، فرثى لهن وأسمعن الكلمة الطيبة التي لم يكن يطمعن أن يسمعن منه مثلها)^(٣).

قالت أم عبد الله بنت أبي حثمة: (لما كنا نرتحل مهاجرين إلى الحبشة، أقبل عمر حتى وقف عليّ، وكنا نلقى منه البلاء والأذى والغلظة علينا، فقال لي: إنه للانطلاق يا أم عبد الله؟ قلت نعم، والله لنخرجنَّ في أرض الله، آذيتونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا مخرجاً، فقال عمر: صحبكم الله. ورأيت منه رقّة لم أكن أراها منه قط، فلما جاء عامر بن ربيعة وكان قد ذهب في بعض حاجته وذكرت له ذلك فقال: كأنك قد طمعت في إسلام عمر؟ قلت نعم، فقال: إنه لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب)^(٤).

وبعد هذه الحادثة بقليل أسلم عمر رضي الله عنه وكان السبب الأساسي في إسلامه رضي الله عنه دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له بقوله: (اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل

(1) أسد الغاية في معرفة الصحابة، لابن الأثير، دار المعرفة بيروت، ط ٢، ٢٠٠١م، ص ٣٦٩.

(2) المرجع السابق، ص ٣٦٩.

(3) أخبار عمر وعبد الله بن عمر، علي وناجي الطنطاوي، المكتب الإسلامي، ط ٨، ١٩٨٣م، ص ١٢.

(4) السيرة لابن هشام، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٩٨٠م، بدون طبعة، ج ١، ٢١٦. (بتصرف)

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلية د. وقيع الله قسم السيد أحمد

أو بعمر بن الخطاب^(١). فقد روي أن عمر لما علم بإسلام أخته وزوجها ذهب إليهما في منزلهما وضربهما فقالت له أخته وهي غضبي (يا عدو الله أتضربني على أن أوحّد الله؟ قال: نعم، قالت: ما كنت فاعلاً فافعل، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لقد أسلمنا على رغم أنفك فلما سمعها عمر ندم وقام عن صدر زوجها، فقعد، ثم قال أعطوني الصحيفة التي عندكما فأقرأها، فقالت أخته: لا أفعل قال ويحك قد وقع في قلبي ما قلت. قالت: إنك رجس و﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٢) فقم فاغتسل^(٣). فخرج عمر ثم عاد إلى أخته فدفعت له الصحيفة فقرأ فيها طه وسور أخرى فرق قلبه وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك في دار الأرقم وأعلن إسلامه. قال السيوطي: (أسلم عمر في السنة السادسة من النبوة وله تسع وعشرون سنة)^(٤).

فضله:

الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فضله عظيم وكبير ولا يمكن للباحث أن يقف عليه في هذه الأسطر القليلة فحسب ولكن يتناول الباحث جانباً يسيراً من فضله. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فَضَّلَ النَّاسَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه بأربع وهي^(٥).

[١] بذكر الأسرى يوم بدر إذ أمر بقتلهم فأنزل اله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ

(1) سنن الترمذي، دار الحديث القاهرة، ٢٠٠٥م، ج ٥، ص ٤٣٥.

(2) سورة الواقعة الآية (٧٩).

(3) مرجع سابق، علي محمد محمد الصلابي، ص (٢٢ - ٢٣).

(4) تاريخ الخلفاء، للسيوطي، دار المنار القاهرة، بدون طبعة، بدون تاريخ، ص ٨٣ (بتصرف).

(5) ترجمة الخلفاء الراشدين، محمد رضا، مرجع سابق، ص ١٤٦.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د. وقيع الله قسم السيد أحمد

لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ .

[٢] وبذكر الحجاب أمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم أن يحتجبن فقالت زينب: إنك علينا يا ابن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ

وَرَاءِ حِجَابٍ ﴿٢﴾ .

[٣] وبدعوة النبي صلى الله عليه وسلم أن يهده للدين ويؤيد به الإسلام.

[٤] وفضل عمر رضي الله عنه الناس أيضاً بأنه أول من بايع أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليكون خليفة للمسلمين.

وكذلك من فضل الخليفة عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عدداً من الأحاديث

تؤكد فضله ومكانته السامية ورفعته في الدنيا والآخرة وسيورد الباحث هنا بعضاً منها:

- قال صلى الله عليه وسلم: (بينما أنا نائم رأيت الناس يُعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك، وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال الدين) (٣).

- وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (رأيت كأنني أُتيتُ بقدرح من لبن، فشربت منه،

فأعطيتُ فضلي عمر بن الخطاب. قالوا: فما أولته يا رسول الله قال: العلم) (٤).

- وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه) (٥).

(1) سورة الأنفال الآية (٦٨).

(2) سورة الأحزاب الآية (٥٣).

(3) صحيح البخاري، دار الحديث القاهرة، ٢٠٠٤م، بدون طبعة، ج١، ص١٤.

(4) سنن الترمذي، مرجع سابق، ص٤٣٧.

(5) سنن الترمذي، مرجع سابق، ص٤٣٧.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د . وقيع الله قسم السيّد أحمد

- وقال رضي الله عنه: (لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب) ^(١).

تحمل الخليفة عمر للمسؤولية:

عرف عن الخليفة عمر بن الخطاب تحمله للمسؤولية الملقاة عليه قبل أن يكون خليفة، وبعد أن أصبح خليفة ، قال عنه محمود شيت خطاب: (لقد كان عمر رجل دولة مثالياً: يعرف تفاصيل مسؤوليته كاملة ودقائقها، ويتحمل هذه المسؤولية كاملة ولا يتهرب منها، ويحاسب نفسه وعماله محاسبة عسيرة قبل أن يحاسبه ويحاسبهم الناس، ويسهر على مصالح المسلمين ناسياً مصلحته الشخصية ومصالح أهله وذويه) ^(٢).

قال عنه محمد رضا: (وجدير بكل راعٍ وكل رئيس أن يضع حياة عمر نصب عينيه ويتخذ سلوكه وخلقه وشدة اهتمامه بالناس نبراساً يستضيء به في حكمه وسياسته) ^(٣)، تلك الإشارات سألقة الذكر في تحمل الخليفة عمر للمسؤولية وغيرها تؤكد أنه كان رجلاً قوياً ويتحمل مسؤوليته كاملة دون كلل أو ملل، وما يجويه هذا البحث شاهد على تحمل الخليفة عمر لما يسند إليه من مسؤوليات قبل أن يتولى خلافة المسلمين وبعد توليه لها.

العدل:

العدل هو من أهم القواعد التي تقوم عليها الدولة المسلمة وقد حث عليه

المولى عز وجل في كثير من آيات القرآن الكريم قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ

(1) المرجع السابق نفسه، ص ٤٣٦.

(2) عمر بن الخطاب الفاروق القائد محمود شيت خطاب، دار مكتبة الحياة بيروت، ط ٢، بدون تاريخ، ص ٨٥.

(3) المرجع السابق، ص ١٢٩.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د . وقيع الله قسم السيّد أحمد

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ^(١)، وقال رضي الله عنه موصياً بالعدل ومرغباً فيه: (إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة)^(٢)، فالخليفة عمر رضي الله عنه تربي على مثل هذه النصوص الأمرة بالعدل وغيرها فكان مدرسة في العدل وقدوة لمن معه ولن بعده من المسلمين، فما ذكر عمر رضي الله عنه إلا وذكر العدل، وما ذكر العدل إلا وذكر عمر رضي الله عنه، فمن أوجب واجبات الحاكم العدل بين الرعية والصدق معهم، فالعدل هو من أهم أسباب الازدهار والنماء والتفاف الرعية حول الراعي وطاعته قال معاوية أحمد سيد أحمد: (ما كان العدل في عملٍ أو أمرٍ إلا نما وأزدهر وما كان الجور في شيء إلا أزال ودَمَّرَ، والعدل مؤلف القلوب حول القيادة، وموجب رحمة الله على أهل الولاية والمسئولية)^(٣)، قال عنه علي محمد محمد الصلابي: (لقد كان الفاروق قدوة في عدله، أسر القلوب، وبهر العقول، فالعدل في نظره دعوة عملية للإسلام، به تفتح قلوب الناس للإيمان، وقد سار على ذات نهج الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت سياسته تقوم على العدل الشامل بين الناس وقد نجح في ذلك على صعيد الواقع والتطبيق نجاحاً منقطع النظير لا تكاد تصدقه العقول حتى اقترن اسمه بالعدل)^(٤).

والتاريخ شاهد للخليفة عمر رضي الله عنه بالعدل إبان خلافته والأمثلة على عدله كثيرة منها ما روي عن أنس بن مالك قال: (كنا عند عمر بن الخطاب، إذ جاءه رجل من أهل مصر فقال: يا أمير المؤمنين! هذا مقام العائذ بك. قال: وما لك؟ قال: أجرى عمرو بن

(1) سورة المائدة الآية (٨).

(2) المستدرک علی الصحیحین، للنیسابوری، دار الکتب العلمیة بیروت، ط ١، ١٩٩٠م، تحقیق مصطفی عبد القادر عطلة ج، ص ١٠٠.

(3) القيادة أسس وموجهات من الخطاب النبوي، معاوية أحمد سيد أحمد، سلسلة إصدارات هيئة علماء السودان، ٢٠٠٨، بدون طبعة، ص ٢٠، بتصرف.

(4) مرجع سابق، علي محمد محمد الصلابي، ص ١٠٧، بتصرف.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د . وقيع الله قسم السيّد أحمد

العاص الخيل بمصر، فأقبلت فرسٌ لي، فلما تراأها الناس، قام محمد بن عمرو فقال:
فرسي ورب الكعبة. فلما دنا مني عرفته فقلت: فرسي ورب الكعبة، فقام يضربني
بالسوط ويقول: خذها.. خذها.. وأنا ابن الأكرمين. فقال له عمر اجلس. وأرسل في طلب
عمرو بن العاص وابنه فلما مثلوا بين يديه قال عمر بن الخطاب للمصري، دونك الدرّة
فأضرب ابن الأكرمين فضربه حتى أثخنه، ثم قال له أجلها على صلعة عمرو فو الله ما
ضربك ابنه إلا بفضل سلطانه، وقال لعمرو بن العاص متى استعبدتم الناس وقد
ولدتهم أمهاتهم أحراراً، ثم التفت الى المصري فقال: انصرف راشداً، فإن رابك ريبٌ
فاكتب إليّ^(١).

مما تقدم من حديث عن العدل تتضح قيمته وأهميته في الحياة، فلا بدّ لكل من
وليّ أمر أن يسعى لتطبيق العدل في ولايته، ابتداءً من ربّ الأسرة في أسرته وانتهاءً
بلحاكم في دولته وبين رعيته.

هذه لمحة من حياة الخليفة عمر رضي الله عنه ومناقبه فهي حياة مليئة بالدروس والعبر.

المبحث الثاني

التأمل فضله ومجالاته وفوائده

التأمل في اللغة:

وردت تعريفات كثيرة للتأمل في اللغة، قال الرازي: التأمل هو (الأمل والرجاء،
وتأمل الشيء نظر إليه مستبيناً له)^(٢)، وقال ابن منظور: (التأمل: التثبت، وتأملت الشيء

(1) عمر بن الخطاب الفاروق القائد، محمود شيت خطاب، مرجع سابق، ص ٨١

(2) مختار الصحاح، للرازي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ١٩٩٥م، بدون طبعة، ص ١٠.

أي نظرت إليه مُستتباً له. وتأمل الرجل: تثبت في الأمر والنظر^(١).

التأمل اصطلاحاً:

قال السندي التأمل هو: (مراجعة للنظر كرة بعد كرة، حتى يتجلى له وينكشف لقلبه، وتحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره ومعانيه)^(٢).

وللتأمل معانٍ كثيرة مترادفة معه ومتعلقة به منها - التفكير - التدبر - والاستبصار - قال الإمام الغزالي: (أما التدبر والتأمل والتفكير فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معانٍ مختلفة)^(٣).

فالباحث إذ يعرف التأمل أعلاه فلا بد له من الوقوف على مترادفات أو متعلقات التأمل حتى يكتمل معنى التأمل وما يتعلق به.

أولاً: التفكير:

قال ابن القيم: (التفكير هو تلمس البصيرة واستدراك البغية)^(٤)، وقال ماجد عرسان الكيلاني: (التفكير هو قدرة تشير إلى استعمال المهارات العقلية كلها للوصول إلى الحقيقة)^(٥)، وقال عبد الحليم محمود: (التفكير هو أعمال العقل في موضوع ما يصل إلى درجة الإشكال، للتوصل إلى حل لهذا الإشكال)^(٦)، قال تعالى مؤكداً أهمية التفكير بقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾^(٧).

(1) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر بيروت، ط ١، دون تاريخ، ج ١٠، ص ٢٧.

(2) تدبر القرآن، سلمان بن عمر السنيني، مكتبة الملك فهد الرياض، ط ٢، ٢٠٠٢م، ص ١٣.

(3) إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي، دار المعرفة بيروت، دون طبعة، دون تاريخ، ج ٤، ص ٤٢٦.

(4) مدارج السالكين، لابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي بيروت، ط ٢، ١٩٧٣م، ج ١، ص ٤٤١.

(5) أهداف التربية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، دار القلم دبي، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ٦٠.

(6) التربية العقلية، علي عبد الحليم محمود، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، (دط)، ١٩٩٦م، ج ٣، ص ٣٥.

(7) سورة الأنعام، الآية (٥٠).

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د. وقيع الله قسم السيد أحمد

ثانياً: التدبر:

التدبر هو أحد متعلقات التأمل، والتدبر هو (النظر في عاقبة الأمر والتفكر فيه)^(١)، وهذا يعني النظر في الأمر بعين فاحصة مدققة وبصيرة نافذة، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ

الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٢).

ثالثاً: الإستبصار:

قال ماجد عرسان الكيلاني: (الإبصار هو قدرة عقلية نافذة تساعد على دقة

الفهم والتعمق في تحليل الظاهرة وكوامنها)^(٣).

فالتأمل في أمر ما يجد نفسه متفكراً فيه ومتدبراً ومستبصراً، وبعد التأمل في

الأمر والتفكر والتدبر فيه، لابد من تحليله والوقوف على دقائقه وأجزائه للوصول إلى

النتيجة النهائية التي كانت سبباً في التأمل والتفكر فيه. قال علي عبد الحليم: (والتحليل

هو بيان أجزاء الموضوع أو الأمر وفك المركب منه إلى عناصره التي يتكون منها من أجل

الوصول إلى فهم أفضل، أو هو اكتشاف عناصر موضوع معين من أجل فرض معين،

وهذا التحليل يؤدي إلى استخراج الأسباب بل الأسرار، والوقوف على الصورة الدقيقة

لها، ويمهد التحليل لمعرفة النتائج والوصول إلى مرحلة إصدار الحكم على الأمر أو الشيء

الذي يُحلَّل، وإصدار الحكم هو عمل عقلي يترتب على التأمل والتفكير والتحليل)^(٤).

(1) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر بيروت، ط١، بدون تاريخ، ج٤، ص٢٦٨.

(2) سورة محمد، الآية (٢٤).

(3) أهداف التربية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سابق، ص٦١.

(4) مرجع سابق، علي عبد الحليم محمود، ص٣٦.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة . د. وقيع الله قسم السيد أحمد

فضل التأمل:

التأمل فضيلة إسلامية عظيمة وله فوائد جليلة سيتطرق لها الباحث عند التحدث عن فوائد التأمل، فقد حث الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة على التأمل، قال تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾^(١).

ومما جاء في فضل التفكير والتأمل أن الحواريين قالوا لعيسى بن مريم: (هل على الأرض اليوم مثلك قال نعم: من كان منطقته ذكراً وصمته فكراً ونظره عبرة فإنه مثلي)^(٢). فالتفكير أو التأمل من النص أعلاه يعلي من مقام الإنسان وقدره. وروي أن رجلاً من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موت أبي ذر فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت له: (كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر)^(٣)، وروي عن الحسن قوله: (تفكر ساعة خير من قيام ليلة)^(٤)، وقال الفضيل: (الفكر مرآة وروي عن لقمان الحكيم أنه كان يطيل الجلوس وحده ولما سئل عن ذلك قال: (إن طول الجلسة أفهم للفكر، وطول الفكر دليل على طريق الجنة)^(٥) فالتأمل يقود إلى الجنة وهذا فضل كبير للتأمل.

مجالات التأمل:

للتأمل مجالات كثيرة ولكن يمكن للباحث أن يجمّلها في مجالين رئيسيين هما التأمل في خلق الله سبحانه وتعالى، والتأمل في الأحداث التي تحدث في واقع الحياة الدنيا.

(١) الذاريات، آية ٢١.

(2) إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي ج ٤، مرجع سابق، ص ٤٢٤.

(3) المرجع السابق، ص ٤٢٤.

(4) المرجع نفسه، ص ٤٢٤.

(5) لقمان الحكيم وحكمه، محمد خير رمضان، دار القلم دمشق، ط ٢، ١٩٩٤م، ص ٣٥.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د . وقيع الله قسم السيد أحمد

أولاً التأمل في خلق الله تعالى:

الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون وما يحويه من مخلوقات وهذه المخلوقات منها ما هو مرئي وما هو غير مرئي كالملائكة والجن وغيرها من المخلوقات التي خبرنا عنها المولى عز وجل. والتالي لكتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم يجد فيهما الدعوة والأمر بالتفكر في مخلوقات الله تعالى. قال مالك بدري: " فلا عجب أن القرآن الكريم يحمل بين دفتيه الكريمتين الكثير من الآيات التي تحض على التدبر في خلق السماوات والأرض بشتى الأساليب التي تناسب كل مزاج وحالة روحية. وذلك لتخرج الناس من بلاة الحس وهمود العادة ورتابة المؤلف، ليروا آيات ربهم في السماوات والأرض ببصيرة حية وقلب شفاف" ^(١) قال تعالى حائاً على التأمل والتفكر والنظر في مخلوقاته:

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ . ^(٢)

وقد جاء في سنة الرسول الكريم ما يحض على التأمل والتفكر في خلق الله حيث روي عن ابن عباس: أن قوماً تفكروا في الله عز وجل فقال النبي ﷺ: (تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره) ^(٣).

ثانياً التأمل في الأحداث:

الحياة الدنيا منذ أن خلقت وإلى يومنا هذا مليئة بالأحداث وستظل كذلك ما دام على وجه هذه الأرض حياة وأناس يتفاعلون فيما بينهم، والضرورة تقتضي أن يتفكر

(1) التفكير من المشاهدة إلى الشهود، مالك بدري، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط١، ١٩٩١م، ص٣١.

(2) سورة الغاشية، الآيات (١٧ - ٢٠).

(3) المغني عن حمل الأسفار، للعراقي، مكتبة طبرية، الرياض، ط١، ١٩٩٥م، ج٢، ص١١٩٣.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د. وقيع الله قسم السيد أحمد

الإنسان في هذه الأحداث ويتأملها ليأخذ منها الدروس والعبر، فإن كان نتاج هذه الأحداث خيراً فیتبعه وإن كان شراً فيجتنبه. والتأمل في الأحداث والتفكر فيها هو أسلوب من أساليب التربية الإسلامية المستخدمة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهو ما يعرف عند التربويين - بالتربية بالأحداث - قال محمد قطب: (ولقد قام القرآن - وهو يربي الأمة الإسلامية في منشئها - باستغلال الأحداث في تربية النفوس استغلالاً عجبياً عميق الأثر، كان من نتيجته تلك الأمة العجيبة الفريدة في التاريخ كله، الأمة التي شهد لها خالقها بالخيرية فقال: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١).

وقال عبد الرحمن النحلاوي: (يوجهنا القرآن الكريم إلى أن الهدف من ذكر الحوادث التاريخية أو تعليمها، ليس التعصب لقوم أو ملة معينة، ولا مجرد التباهي والتفاخر بالأبء والأجداد، ولكن الهدف هو الاعتبار، ومعرفة المغزى (٢).

فوائد التأمل:

للتأمل فوائد كثيرة وفيما يلي يذكر الباحث بعضاً من فوائده.

[١] التأمل يقود إلى المعرفة:

قال الإمام الغزالي عن فائدة التأمل والتفكر (وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب

(1) سورة آل عمران، الآية (١١٠) - محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥م، دون طبعة، ج١، ص٢٠٨، بتصرف.

(2) مرجع سابق، عبد الرحمن النحلاوي، ص (٢٧٨ - ٢٧٩).

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د. وقيع الله قسم السيد أحمد

معرفة ليست حاصلة، والمعارف إذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص
أثمرت معرفة أخرى، فالمعرفة نتاج المعرفة^(١).

وقال ابن القيم: (التذكر والتفكر منزلان يثمران أنواع المعارف وحقائق الإيمان
والإحسان، والمعارف لا يزال يعود بتفكره على تذكره وبتذكره على تفكره حتى يفتح قفل
قلبه بإذن الفتاح العليم)^(٢).

[٢] التأمل يقود إلى الإيمان بالله:

التأمل في خلق الله يقود إلى الإيمان به قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَنَقْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣)،
وقال جون وليام: "إن هذا العالم الذي نعيش فيه، قد بلغ من الإتقان والقصد درجة تجعل
من الخال أن يكون نشأ بمحض المصادفة. ولا شك أن العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم
ظواهر هذا الكون المعقد وتقديرها، وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن إيماننا
بوجوده"^(٤).

[٣] التأمل يساعد على عمل الطاعات:

التأمل والتفكير عملية عقلية، فالتأمل عندما يريد أن يُقدِّم على عمل شيء ينظر فيه فيرى
خيرهُ وشرهُ وحسنهُ وقبحهُ فيتهدي بعقله إلى العمل السليم وبعد ذلك يُقدِّم عليه قال
مالك بدري: "إن بداية كل عمل إنما هو نشاط فكري معرفي شعوري، فإن من يطيل

(1) إحياء علوم الدين، للغزالي، مرجع سابق، ج٤، ص٤٢٦.

(2) مدارج السالكين، لابن القيم، مرجع سابق، ج٢، ص٤٤١.

(3) سورة الأنبياء، الآية (٣٠).

(4) فن التأمل في الكون، إبراهيم محمود التوم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، سلسلة رسائل التأصيل، ص٣٥.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلية د. وقيع الله قسم السيد أحمد

الفكرة يسهل عليه القيام بالطاعات والعبادات، فإن القلب المتدبر المتفكر في آلاء الله والموصول بالآخرة يكتشف الخواطر الشريرة التي تمر على ذهنه بسهولة ويسر بفضل حساسيته المفرطة التي اكتسبها من إدامة التفكير والذكر، فما أن تطل خاطرة شريرة في ذهنه إلا وتكتشفها أفكاره وأحاسيسه المرهفة وتصورات الخيرة فتحيط بها وتفسد مفعولها تماماً كما يكتشف الجسم الصحيح الجرائم الوافدة عليه فيحاصرها ويدمرها^(١)، قال بشر: "لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل"^٢، فإذا التأمل يقود إلى فعل الطاعات وهذه ثمرة وفائدة عظيمة للتأمل وتدعو إلى المداومة عليه لجني ثماره العظيمة.

[٤] إن التأمل يقود إلى: (التفكير بأسرار الخلق وبحقيقة هذه الحياة الدنيا، وبعظمة الخالق، ويساعد على الفهم الأعمق للحياة)^(٣) لأن من تأمل في شيء وصل إلى سره وحقيقته، ومن عرف الأسرار والحقائق ساعده ذلك على فهم الحياة الدنيا وعمَل ما يصلحه للحياة الآخرة.

[٥] إن التأمل يعتبر: وسيلة مدهشة لصفاء الذهن وتركيز الانتباه^(٤)، لأنه لا بد للتأمل من التركيز فيما يود التأمل فيه، ولا بد من صفاء الذهن، وبذا يحقق التأمل التركيز وصفاء الذهن.

[٦] التأمل له فوائد صحية عدّة منها أنه: يعزز الصحة العقلية والبدنية والنفسية، وبقضي على الأرق والقلق^(٥).

(1)التفكر من المشاهدة إلى الشهود، مالك بدري، مرجع سابق، ص٣٣.

(2)إحياء علوم الدين، للغزالي، مرجع سابق، ج٤، ص٤٢٥.

(3) <http://forum.illafrain.co.uk/t7099>

(4) <http://forum.illafrain.co.uk/t7099>

(5) <http://forum.illafrain.co.uk/t7099>

[٧] التأمل ضرب من ضروب العبادة:

التأمل هو ضرب من ضروب العبادة قال رضي الله عنه: (تفكر ساعة خير من عبادة سنة)^(١)، وقال رضي الله عنه: أعطوا أعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال: النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه)^(٢).

[٨] التأمل مصدر من مصادر أخذ العظات والعبر:

فإذا تأمل الإنسان في حدث ما أياً كان هذا الحدث سيأخذ منه العبرة والعظة قال عبد الرحمن النحلاوي: "فالعبرة والاعتبار حالة نفسية توصل الإنسان إلى معرفة المغزى والمآل لأمر ما"^(٣)، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٤).

فمثلاً إذا نظر الانسان إلى قصة فرعون، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾^(٥). سيخرج منها بعظات وعبر عدة، أبرزها عدم التكبر على الناس وضرورة التواضع معهم ، وألاً يغتر بمنصبه أو جاهه أو ماله. فالتأمل عموماً يؤدي إلى تحقيق أهداف التربية الإسلامية وأغراضها والتي من أبرزها إعداد الإنسان الصالح والقائم بواجب خلافة الله في الأرض.

(1) المغني عن حمل الأسفار، للعراقي، مكتبة طبرية، الرياض، ط ١، ١٩٩٥م، ج ٢، ص ١١٩٣.

(2) عمدة القارئ، أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون طبعة، بدون رقم، ج ٢٠، ص ٤٧.

(3) مرجع سابق، عبد الرحمن النحلاوي، ص ٢٧٢.

(4) سورة يوسف الآية (١١١).

(5) القصص، آية ٤.

المبحث الثالث

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الليلية

تمهيد:

عرف عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إبان خلافته للمسلمين التجوال ليلاً بالمدينة المنورة لتفقد الرعية والوقوف على أحوالهم، وقضاء حاجاتهم. قال خالد محمد خالد: (كان يخرج فيها وحيداً، والناس نيام، ليطمئن على قومه ويبلو أحوالهم وينفض الليل عن حاجاتهم)^(١). وقال أبو النصر: (وكان عمر رفيقاً برعاياه، يتفقد أحوالهم، وتشغله قضاياهم وتؤرقه مشكلاتهم ويسعى إلى إسعاد كل فرد من أفراد أمته ومجتمعه لإيمانه الصادق بأنه المسئول الأول عن هذه الرعية إبان فترة خلافته)^(٢)، وهذا التجوال ليلاً بالمدينة أتاح للخليفة عمر فرصة الوقوف على الكثير من المشكلات التي لم يرفعها له عماله ولا أصحاب هذه المشكلات، وفي هذا البحث يود الباحث أن يقف على بعض هذه الأحداث والمشكلات التي شاهدها أو سمعها الخليفة عمر رضي الله عنه وهو يتجول بالمدينة ليلاً ليستل ويستخرج ما فيها من دروس وعبر وقيم ما أحوج الناس إليها اليوم حتى تنير لهم الطريق وتجلي عن أبصارهم غشاوة الحياة ودورانها السريع وهم يركضون في دروبها الواسعة المظلمة.

(1) خلفاء الرسول، خالد محمد خالد، دار الجيل بيروت، بدون طبعة، ١٩٩٦م، ص ٢١٢.

(2) عمر بن الخطاب، محمد أحمد أبو النصر، دار الجيل بيروت، ط ١، ١٩٩١م، ص ٤٧.

(* حرة واقم: أرض ذات حجارة شرق المدينة المنورة، ياقوت الحموي، دار صابر بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م، ج ٢، ص ٢٤٩.

(* صرار، اسم موضع على ثلاثة أميال من المدينة المنورة، ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج ٣، ص ٣٩٨.

أولاً: قصة عمر وأم الصبية:

روى زيد بن أسلم عن أبيه أنه قال: (خرجنا مع عمر بن الخطاب إلى - حَرَّةٍ وَأَقِمِ* - حتى إذا كنا بصِرَارٍ*) إذا نار تسعر.. فقال: يا أسلم إنني لأرى هاهنا ركباً قد ضربهم الليل والبرد.. انطلق بنا. فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم فإذا بامرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاغون فقال عمر: السلام عليكم يا أهل الضوء - وكره أن يقول يا أصحاب النار - فقالت: وعليك السلام. فقال: أدنو؟ قالت أدنُ بخير أو دَعُ. فدنا فقال: وما بال الصبية يتضاغون!! قالت: الجوع، فقال: فأني شيء في هذه القدر؟! قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا.. الله بيننا وبين عمر قال: أي رحمك الله - وما يدري عمر بكم. قالت: يتولى أمرنا ثم يغفل عنا!! فأقبل عمر على أسلم فقال: انطلق بنا. فانطلقنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلاً من دقيق وكبةً من شحم فقال: أحمله علي!! فقلت: أنا أحمله عنك.. فقال: أنت تحمل وزري عني يوم القيامة؟ فحملته عليه وانطلقت معه إليها نهرول.. فألقى ذلك عندها.. وأخرج شيئاً من دقيق فجعل يقول: دُرِّي عليَّ وأنا أحرك لك.. وجعل ينفخ تحت القدر ثم أنزلها فقال: أبغني شيئاً: فأنته بصحفة فأفرغ فيها ثم جعل يقول: أعطيهم وأنا أسطح لهم - أي أبسطه حتى يبرد - فلم يزل حتى شبعوا.. وترك عندها فضل ذلك. وقام عمر وقمت معه.. فجعلتُ تقول جزاك الله خيراً.. كنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين.. فقال لها عمر قولي خيراً إذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك إن شاء الله.. ثم تنحى عنها ناحية. ثم استقبلها فربض مريضاً.. فقلت له: لك شأنٌ غير هذا.. فما كلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ثم ناموا وهدأوا.. فقال: يا

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د . وقيع الله قسم السيد أحمد

أسلم إن الجوع أسهرهم وأبكاهم فأحبت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت^(١).

الناظر في الحادثة السابقة وفيما دار بين الخليفة عمر رضي الله عنه وأم الصبية سالفه

الذكر يجدها تشتمل على قيم تربوية ودروس وعبر يستفيد منها المؤمن منها:

[١] خدمة الرعية : إن الراعي يجب أن يسهر في خدمة رعيته ابتغاءً للأجر وإرضاءً لله وأن

تصل هذه الخدمة للرعية إلى درجة المهرولة في خدمتهم كما روى زيد عن أسلم (فخرجنا

نهرول حتى دنونا منهم)^(٢).

[٢] حسن التصرف: فالمرأة أم الصبية وضعت قدراً على النار به ماء وعندما سأها الخليفة

عمر رضي الله عنه - وأي شيء في هذا القدر - قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا - تحايلت على

أطفالها لتسكتهم من البكاء، ولا بأس في ذلك ففي تقديري هو حسن تصرف وإن كان

في ظاهره شيء من الكذب.

[٣] العدل: فعلى من يتولى أمر أناس أن يعلم أن الناس سيدعون عليه إن لم يعدل

بينهم أو إذا ظلمهم في شيء أو إذا لم يسع لتحقيق رغباتهم وآمالهم فليتنق الله فيما ولاه

الله عليهم.

[٤] الدقة في اختيار العبارات عند مخاطبة الناس: فلخليفة عمر رضي الله عنه عندما جاء للمرأة

ووجدها تنصب قدراً على النار، قال لها: السلام عليكم يا أهل الضوء وكره أن يقول يا

أهل النار لأن كلمة أهل النار لا تصلح لمخاطبة الناس لِمَا لها من مدلولات مكروهة

ومنفرةً فهناك من يعبدون النار، وأهل النار هم الكفار والفساق وغير ذلك، فعلى

الإنسان أن يختار عباراته بدقة عندما يريد أن يخاطب أحداً فجمال العبارة دليل على

(1) الفاروق بين السنة والشيعة، أحمد كمال شعت، بدون طبعة، بدون تاريخ، ص ٢٦٥.

(2) المرجع سابق، أحمد كمال شعت، ص ٢٦٥.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د . وقيع الله قسم السيد أحمد

حسن الأدب، وعلو الذوق وقد أثر عن الخليفة عمر رضي الله عنه أنه كان دقيقاً في اختيار عباراته عند مخاطبة الناس ويؤكد ذلك قوله رضي الله عنه: (لولا أن أسير في سبيل الله أو أضع جبيني في التراب أو أجالس قوماً يلتقطون طيب القول كما يلتقط طيب الثمر لأحببت أن أكون قد لحقت بالله عز وجل)^(١).

[٥] سعة صدر الحاكم وتقبله للنقد: فالمرأة أم الصبية بعد أن حكت للخليفة عمر جوع أبنائها وقبل أن تعرف أن هذا الذي أمامها هو عمر قالت: (الله بيننا وبين عمر. فقال: أي رحمك الله.. وما يدري عمر بكم؟ قالت: يتولى أمرنا ثم يغفل عنا)^(٢). من الحوار السابق بين الخليفة عمر وأم الصبية وقولها - يتولى أمرنا ثم يغفل عنا - نخلص إلى سعة صدر الخليفة عمر وتقبله للنقد الذي توجهت به أم الصبية إليه، رغم عدم علمها بأن الذي يحدثها الآن هو عمر.

[٦] التواضع في خدمة الرعية والسهر لأجلهم واجب على الراعي: كما كان من الخليفة عمر، فقد أعد الطعام بنفسه لهؤلاء الصبية. قال أسلم: (وجعل ينفخ تحت القدر فرأيت الدخان يخرج من بين خلال لحيته حتى طبخ لهم الطعام)^٣، وقد صور حافظ إبراهيم هذا الموقف بقوله^(٤):

ومن رآه أمام القدر منبطحاً *** والنار تأخذ منه وهو يُذكيها
وقد تخلل في أثله لحيته *** منها الدخان وفوه غاب في فيها

(1) تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم الشافعي، دار الفكر بيروت، ١٩٩٥م، دون طبعة، ج ٤٤، ص ٣١٤.

(2) الفاروق بين السنة والشيعة، أحمد كمال شعث، مرجع سابق، ص ٢٦٥.

(3) مرجع سابق، أحمد كمال شعث، ص ٢٦٥.

(4) مرجع سابق، علي محمد محمد الصلابي، ص ١٨٦.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د . وقيع الله قسم السيد أحمد

رأى هُنَاكَ أمير المؤمنين على *** حال تَرَوُّعُ - لَعَمْرُ الله - رَائِيهَا
يَسْتَقْبِلُ النَّارَ خَوْفَ النَّارِ فِي *** وَالْعَيْنُ مِنْ خَشْيَةِ سَالَتْ مَا قِيَهَا
غَدِيَه

فالخليفة عمر لم يسهر كل هذا السهر ولم يرهق نفسه كل هذا الرهق إلا خوفاً من
الله وخشيةً منه فهلا اتخذنا منه القدوة، واتخذناه قادتنا ورعائنا قدوة لهم.

[٧] الرحمة بالرعية : من القيم التي نستخلصها من القصة السابقة وهي قصة الخليفة
عمر مع أم الصبية، الرحمة والإحساس بألم الغير والحزن لحزنهم والفرح لفرحهم.
فالخليفة عمر بعد أن أطعم الصبية جلس قريباً منهم ليرى الفرحة في وجوههم.

[٨] المحافظة على مشاعر الغير: بعد أن صنع الخليفة عمر رضي الله عنه الطعام للمرأة وأطفالها
وشبعوا وأراد أن يغادرها قالت له المرأة - جزاك الله خيراً، كنت أولى بهذا الأمر من أمير
المؤمنين. فقال لها عمر رضي الله عنه قولي خيراً. إذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك. فكان حصيماً
في عباراته معها ولم يخبرها بأنه الخليفة حفاظاً على مشاعرها وحتى يضمن مجيئها له
ليقضي لها حاجتها.

ثانياً: قصة المرأة التي غاب زوجها في الجهاد:

روي أن الخليفة عمر رضي الله عنه خرج ذات مرة يتجول بالمدينة ليلاً كعادته فمر بدار امرأة مغلقة
عليها بابها وهي تقول^(١):

تطاوَلَ هذا الليلُ وأسودَّ جانِبُهُ *** وَأَرَقَّني أن لا خليلَ أَلعِبُهُ
أَلعِبُهُ طَوْرًا وطَوْرًا كأنَّمَا *** بدا قمر في ظُلْمَةِ الليل حاجِيَهُ
يُسْرُّ به من كان يلهو بقُرْبِهِ *** لطيفُ الحسَى لا تجتويه أقرابه

(1) مرجع سابق، علي وناجي الطنطاوي، ص ٣٥٣، بتصرف.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د. وقيع الله قسم السيد أحمد

فوالله لولا الله لا ربَّ غيرهُ *** لززع من هذا السرير جوانبه
مخافة ربِّي والحياء يصدني *** وإكرامُ بعلي أن تُنالَ مراكبه
ولكنني أخشى رقيباً موكلأً *** بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه

ثم تنفست الصعداء وقالت: (لهان على عمر بن الخطاب وحشتي وغيبة زوجي عني، وعمر رضي الله عنه واقف يسمع، فضرب باب الدار فقالت: من هذا الذي يأتي لامرأة مُغيبةً هذه الساعة؟ فقال أفتحي، فأبت، فلماً أكثر عليها قالت: أما والله لو بلغ أمير المؤمنين لعاقبك. فلما رأى عفافها قال: أفتحي فأنا أمير المؤمنين) ^(١). وعرف الخليفة عمر رضي الله عنه من المرأة أن زوجها ذهب إلى الجهاد مع جيوش المسلمين فذهب عمر رضي الله عنه إلى ابنته حفصة فقال لها: (إني سائلك عن أمر قد أهمني فأفرجيه عني؟ كم تشتاق المرأة إلى زوجها فخفضت رأسها واستحيت، قال: فإن الله لا يستحي من الحق، فأشارت بيدها ثلاثة أشهر، وإلا فأربعة أشهر، فكتب عمر رضي الله عنه أن لا تجبس الجيوش فوق أربعة أشهر) ^(٢).

الناظر في هذه الحادثة سالفه الذكر يستخلص منها عدداً من القيم التربوية

والفوائد منها:-

[١]تحديد مدة غياب الزوج عن زوجته : هذه الحادثة كانت سبباً في تشريع اجتماعي وإداري له آثاره السياسية والإنسانية والطبيعية وهو تحديد مدة غياب الزوج عن زوجته، فقد اتخذ الخليفة عمر قراراً لدى العاملين في الدولة وخاصة العاملين في الجيش بالأل يغيب أحدهم عن أهله أكثر من أربعة أشهر وهذا أقصى ما تصبره المرأة عن غياب زوجها كما أفادت حفصة بنت عمر أبيها بذلك.

(1)مرجع سابق، علي وناجي الطنطاوي، ص ٣٥٤.

(2)تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، مرجع سابق، ص ١٣٣.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلية د. وقيع الله قسم السيد أحمد

[٢] إحترام عاطفة الحب : عاطفة الحب والميل نحو الجنس الآخر لدى الرجل أو المرأة لا بدّ من احترامها وإشباعها وفق ما أباح الشرع بلا حياءٍ أو خجل.

[٣] الاهتمام بالتربية الدينية: لا بدّ للآباء من الاهتمام بتربية أبنائهم تربية دينية تامة منذ الصغر حتى ينشأوا عليها ويتربوا على مخافة الله وخشيته لتكون لهم وقاية وحفظاً من شياطين الإنس والجن وفي هذا استجابة لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْأً أَنفُسَكُمُ وَأَهْلِيكُم نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (١).

[٤] على من ولي أمر أناس في أيّ مؤسسة كانت أن يسمح لهم وييسر لهم أمر العودة لأهلهم بعد كل أربعة أشهر إن كان ذووهم بعيدين عنهم! فذلك أدعى لحفظ العروض والدين وأدعى لسير العمل وانسيابه بسهولة ويسر في المؤسسة.

[٥] ملاعبة الزوجة: هذه المرأة اشتاقت لملاعبة زوجها، فالملاعبة من السنة وهي تدخل السرور على المرأة وتملأ قلبها مودةً ومحبةً، وقد كان رضي الله عنه يلاعب زوجاته ويداعبهن فقد روي عنه رضي الله عنه قوله لجابر عندما علم أنه تزوج: (هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك) (٢). وجاء في قول المرأة سالفة الذكر ما يؤكد حاجة المرأة للملاعبة والمداعبة إذ قالت:

تطاول هذا الليل وأسود جانبه *** وأرقني أن لا خليل الأعبه

[٦] تيسير أمر الزوج : الغريزة الجنسية من أقوى الغرائز في الإنسان ولا يستطيع مقاومتها إلا من كمل إيمانه وحسنت تربيته، وخاف ربه، وخشيته كما أشارت المرأة في أبيات الشعر السابقة.

(1) سورة التحريم، الآية (٦).

(2) المغني عن حمل الأسفار، للعراقي، مرجع سابق، ج١، ص٣٨٧.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د. وقيع الله قسم السيد أحمد

مخافة ربي والحيله يصدني *** وأكرم بعلي أن تنال مراكبه
ولكنني أخشى رقيماً موكلاً *** بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه

فواجب أولياء الأمور أن ييسروا أمر الزواج لبناتهم ولا ينتظروا المهر العالي بل عليهم أن يسعوا لإيجاد الأزواج لبناتهم ليغفوهن ويحفظوا أعراضهم ويصونوها كما كان يفعل سلفنا الصالح فقد روي عن الخليفة عمر أنه عرض ابنته حفصة على الخليفة أبي بكر وعثمان للزواج بها. ولكن كانت إرادة الله أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[٧] محافظة المرأة على شرفها : على المرأة أن تعلم أن من أهم حقوق زوجها عليها صيانة شرفها وحفظها فرجها. وهنا قالت المرأة صاحبة هذه القصة:

مخافة ربي والحيله يصدني *** وأكرم بعلي أن تنال مراكبه

وقد قال صلى الله عليه وسلم: (ألا أدلكم على خير ما يكتز المرء؟ المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها ومالها)^(١)، فصيانة المرأة لفرجها بجانب ما فيه من حقوق معنوية للزوج ولها هي ففيه سلامة للزوج وللزوجة من كثير من الأمراض وخاصة مرض الإيدز في هذا الزمان، فالزوجة إذا زنت فزناها يتضرر منه الزوج مادياً ومعنوياً فعلى المرأة أن تحفظ نفسها وزوجها.

[٨] اختيار الزوجة أو الزوج الوضيء الجميل أحد أسباب السعادة الزوجية وسبب في تقوية أواصر المودة والمحبة بين الأزواج، فهذه المرأة يبدو أنها مفتونة بزوجها لوضائه وجماله، فهي تصفه بأنه قمر وأنه لطيف وأنه يسر الناظرين فهي تقول فيه:

الأعبه طوراً وطوراً كأنما *** بدا قمر في ظلمة الليل حاجبه

(1) سنن أبي داود، دار الكتاب العربي بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ، ج ٢، ص ٥٠.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د . وقيع الله قسم السيد أحمد

يسرُّ به من كان يلهو بقربه *** لطيف الحشى لا تجتوبه أقربه

ثالثاً: قصة عمر وشارب الخمر:

روي عن السدي قوله: (خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإذا هو بضوء نار ومعه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فاتبع الضوء حتى دخل داراً، فإذا بسراج في بيت، فدخل وذلك في جوف الليل، فإذا شيخ جالس وبين يديه شراب وقينة - أي أمة مغنية - تغنيه، فلم يشعر حتى هجم عليه عمر، فقال عمر رضي الله عنه: ما رأيت كالليلة منظرأ أقبح من شيخ ينتظر أجله، فرفع رأسه إليه، فقال: بلى يا أمير المؤمنين! ما صنعت أنت أقبح، أتجسست وقد نهى عن التجسس، ودخلت بغير إذن، فقال: عمر رضي الله عنه صدقت. ثم خرج عاضاً على ثوبه يبكي وقال: ثكلت عمر أمه إن لم يغفر له ربُّه! يجد هذا كان يستخفي به عن أهله، فيقول الآن رأني عمر فيتتابع فيه وهجر الشيخ مجلس عمر حيناً فبينما عمر بعد ذلك جالس، إذ به قد جاء شبه المستخفي حتى جلس في أخريات الناس فرآه عمر رضي الله عنه فقال: عليّ بهذا الشيخ، فقليل له: أجب! فقام وهو يرى أن عمر سيسوءه بما رأى منه، فقال عمر: أدنُّ منِّي أذنك! فالتقم أذنه فقال: أما والذي بعث محمداً بالحق رسولاً! ما أخبرت أحداً من الناس بما رأيت منك ولا ابن مسعود فإنه كان معي، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين! أدن مني أذنك، فالتقم أذنه فقال: ولا أنا والذي بعث محمداً بالحق رسولاً! ما عدت إليه حتى جلست مجلسي هذا، فرفع عمر رضي الله عنه صوته يكبرُ فما يدري الناس من أي شيء يكبرُ^(١).

عند النظر في هذه القصة والتدبر فيها نخلص إلى عدة قيم تربوية منها:-

[١] وجوب عدم التجسس على الناس في منازلهم : وذلك لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ

(1) حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، دار مصعب بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ، ج٢، ص٤٠٦.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلية د. وقيع الله قسم السيد أحمد

ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ
أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ (١) روى
مجاهد قوله: (لا تجسسوا أي خذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله) (٢)، وهذا يعني لا
تبحثوا عما يكتُم عليكم، فالواجب أن تأخذ بما ظهر وتدع السرائر لعلام الغيوب ولا
تتبع عورات أخيك المسلم.

[٢] الاعتراف بالذنب: عندما دخل الخليفة عمر رضي الله عنه على الشيخ في منزله واستقبح فعله
وشربه للخمر قال الشيخ للخليفة عمر: بل ما فعلته أنت أقبح، تجسست عليّ وقد نهى
عن التجسس، ودخلت عليّ دون إذن. لم يغضب منه الخليفة عمر بل، قال له: صدقت،
وكان الخليفة صادقاً في رده على الشيخ وليس ساخراً منه، وخرج الخليفة من عند الشيخ
عاضاً على ثوبه من شدة الاستعجال وهو يبكي ويسأل الله الغفران وفي هذا اعتراف
بالذنب وخشية من الله واستجابة للحق ولم تأخذ العزة بالإثم والتمادي في الذنب كما
يفعل الكثير من المسؤولين اليوم. وهذا أدب وسلوك ينبغي لكل مسلم أن يتحلى به بأن
يرجع للحق والصواب، متى ما علم الخطأ في قوله أو عمله.

[٣] ستر العورات: من السنة ستر عورات الناس حيث قال رضي الله عنه: (من ستر على مسلم
في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة) (٣)، وهذا ما فعله الخليفة عمر مع الشيخ الذي
وجده مع المغنية ويشرب في الخمر حيث قال الخليفة عمر للشيخ في أذنه بعد أن أتاه في
مجلسه أما والذي بعث محمداً بالحق رسولاً ما أخبرت أحداً من الناس بما رأيت منك ولا

(1) سورة الحجرات، الآية (١٢).

(2) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، مكتبة الغزالي، دمشق، بدون طبعة، بدون تاريخ، ج١٦، ص٣٣٣.

(3) سنن الترمذي، مرجع سابق، ج٤، ص١٠١.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د . وقيع الله قسم السيد أحمد

ابن مسعود فقد كان معيَ وهذا تطبيق لسنة الرسول ﷺ فكشف العورات فيه عون للشيطان على المسلم المخطئ قال الخليفة عمر في ذات المعنى: (إذا رأيتم أحاً لكم زل زلةً فسددوه ووقفوه وادعوا الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا عوناً للشيطان عليه)^(١)، وقد بعد الناس في زماننا هذا عن ستر عورات الناس، ويندر أن تجد إنساناً يسلك سلوك الخليفة عمر هذا في ستره لعورات الناس بل صار الناس اليوم يتقولون الناس ما لا يقولون ويستفعلونهم ما لا يفعلون فلنأخذ العبرة من هذا الدرس، ولنستر إخواننا كما أمر الشرع فكلنا خطاؤون وخير الخطائين التوابون.

[٤] قيمة النبئ: من قصة شارب الخمر هذه نلمس نبئ الخليفة عمر في حفظه لعورات الناس وستره لسوءاتهم، فهو حينما دخل على الرجل وجده يجلس مع القينة أي المغنية وأمامه خمرٌ، لم يخبر الخليفة بذلك أحداً حتى عبد الله بن مسعود الذي كان يرافقه في هذه الجولة الليلىة وقد تركه خارج المنزل.

[٥] الفرح هداية الآخرين وتوبتهم: من قصة الشيخ شارب الخمر نستخلص قيمة أخرى، وهي الفرح هداية الآخرين وتوبتهم وعودتهم للجنة، فلما علم الشيخ أن الخليفة عمر ستره ولم يخبر أحداً بما رأى منه قال الشيخ يا أمير المؤمنين: (أذن مني أذنك، فالتقم أذنه فقال: ولا أنا والذي بعث محمداً بالحق رسولاً ما عدتُ إليه - أي الخمر والقينة - حتى جلست مجلسي هذا فرفع عمر صوته يكبرُ فما يدري الناس من أي شيء يكبرُ)^(٢). والحقيقة أن عمر كان يكبرُ فرحاً لتوبة هذا الشيخ وإقلاعه عن الذنب وهو شرب الخمر ومجالسة المغنية، وهذا إن دلَّ إنما يدل على حب الخليفة عمر الخير للناس،

(1) خلفاء الرسول، خالد محمد خالد، دار الجيل بيروت، بدون طبعة، ١٩٩٦م، ص ٢٠١.

(2) حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٠٦.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلية د. وقيع الله قسم السيد أحمد

فحب الخير للناس من الإيمان حيث قال رضي الله عنه: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)^(١).

[٦] الاستئذان : الدخول على الناس في منازلهم دون إذن منهم أمر نهى عنه الدين قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^(٢)، لأن من يدخل منازل الناس دون إذن قد يطلع على عوراتهم وهذا مدخل من مداخل الشيطان وباب من أبواب الفتنة والفساد.

رابعاً: قصة عمر والمرأة التي تمخض:

خرج الخليفة عمر ذات ليلة متجولاً بالمدينة فإذا هو: (ببيت شعر لم يكن بالأمس، فدنا منه فسمع أنين امرأة، ورأى رجلاً قاعداً، فدنا منه فسلم عليه، ثم قال: من أنت؟ فقال: رجل من أهل البادية جئتُ إلى أمير المؤمنين أصيب من فضله. قال ما هذا الصوت الذي أسمع في البيت؟ قال: انطلق رحمك الله لحجتك قال عليّ ذاك ما هو؟ قال: امرأة تمخض قل عندك أحد قال: لا. فانطلق الخليفة حتى أتى منزله، فقال لامرأته: هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ قالت: وما هو؟ قال امرأة غريبة تمخض ليس عندها أحد، قالت: نعم إن شئت. قال: فخذي معك ما يصلح المرأة لولادتها من الخرق والدهن وجيئني ببرمة - أي قدر - وشحم وحبوب، فجاءت به، فقال: انطلقي. وحمل البرمة ومشت خلفه حتى انتهى إلى البيت. فقال لها: ادخلي إلى المرأة، وجاء حتى قعد إلى الرجل،

(1) صحيح الإمام البخاري، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٢.

(2) سورة النور الآية (٢٧).

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د . وقيع الله قسم السيد أحمد

فقال له: أوقد لي ناراً. ففعل، فأوقد تحت البرمة حتى أنضجها، وولدت المرأة فقالت
امراته: يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بسلام. فلما سمع الأعرابي يا أمير المؤمنين، كأنه هابه،
فجعل يتنحى عنه. فقال له: مكانك كما أنت. فحمل البرمة فوضعها على الباب. ثم قال
لامراته: أشبعيها، ففعلت، ثم أخرجت البرمة فوضعها على الباب، فقام عمر فأخذها
فوضعها بين يدي الرجل وقال: كل ويحك فإنك قد سهرت الليل، وقال لامراته أخرجي،
وقال للرجل: إذا كان غداً فأتنا نأمر لك بما يصلحك، فلما أصبح أتاه ففرض لابنه في
الذرية وأعطاه^(١).

هذه حادثة أخرى من الأحداث التي شهدتها الخليفة عمر في جولاته الليلىة
بالمدينة متفقداً الرعية وعند النظر فيها يمكن أن نستخلص القيم التربوية الآتية:
[١] التعاون مع الأهل: الوقوف مع الأهل والإخوان في لحظات الشدة والحاجة، أمر
شرعه الدين حيث قال ﷺ: (تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد
إذا اشتكى عضوٌ تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى)^(٢).
[٢] المسارعة في طلب الأجر: على الإنسان أن يسارع في طلب الأجر ويدعو الآخرين
لذلك كما فعل الخليفة عمر عندما قال لامراته - هل لك في أجر ساقه الله إليك.
[٣] العمل على إصلاح حال الرعية: على الحاكم أن لا ييخل على رعيته بما يصلح
حالمهم ويقضي حوائجهم وأن يسعى جاهداً لفعل ذلك إن كان إلى ذلك سبيل، فهاهو
الخليفة عمر يقول: للرجل زوج المرأة إذا كان غداً فأتنا نأمر لك بما يصلحك.
[٤] التواضع: تواضع الراعي مع رعيته أمر مطلوب، فهاهو الخليفة عمر يضرب المثل في

(1) مرجع سابق، علي وناجي الطنطاوي، ص ٣٤٧.

(2) صحيح البخاري ج ٤، مرجع سابق، ص ١٠٥.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د . وقيع الله قسم السيّد أحمد

التواضع، فهو يحمل البرمة على ظهره ويطبخ الطعام لما علم أن هنالك امرأة تمخض وفي حاجة لمن يطعمها.

[٥] الاهتمام بإطعام المرأة حديثه الولادة: على الأهل والأزواج الاهتمام بطعام المرأة حديثه الولادة لأن الحمل قد أوهنها وأضعف جسدها.

[٦] إنزال الناس منازلهم : إنزال الناس منازلهم أدب إسلامي رفيع وراقي أمر به ديننا الحنيف فقد قال ﷺ: (انزلوا الناس منازلهم)^(١)، فهاهي زوجة الخليفة عمر تنزله منزله ولم تقل له يا عمر حينما وضعت المرأة بل قالت له - يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام - فعلى الإنسان أن يتأدب بهذا الأدب وينزل من حوله من الناس منازلهم وأن يناديهم بدرجاتهم العلمية والإدارية وغير ذلك من الرتب والألقاب المحبوبة لهم والتي يتصفون بها.

خامساً: قصة المرأة صاحبة القربة:

قال خالد محمد خالد عن الخليفة عمر: إنّه يلتقي ذات ليلة بسيدة تسير وحدها في المدينة، حاملة قربة كبيرة فيقترب منها ويسألها عن أمرها، فيعلم أنها ذات عيال وليس لها خادم، وأنها تنتظر حين يرخي الليل أستاره، فتخرج لتملأ قربتها ماء. فيأخذ منها القربة ويحملها عنها، وهي لا تعرف من هو حتى إذا بلغ دارها، قال وهو يناولها قربة الماء: إذا أصبح غد، فاقصدي عمر يرتب لك خادماً، قالت: إن عمر كثير شغله وأين أجده...؟ قال: اغدي عليه وستجدينه إن شاء الله.. وتعمل المرأة بمشورة الرجل الطيب، لكنها لا تكاد تذهب إلى عمر، وتقف بين يديه حتى تصيح مبهورة: أنت هو إذن؟! ويضحك أمير

(1) سنن أبي داود، دار الكتاب العربي بيروت. بدون طبعة، بدون تاريخ، ج٤، ص٤١١.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د . وقيع الله قسم السيد أحمد

المؤمنين، ثم يأمر لها بخادم و نفقة^(١). هذه القصة سالفة الذكر تحتاج إلى تأمل ونظر لمعرفة ما فيها من دروس وعبر ومن أبرز الدروس والعبر في هذه القصة ما يلي:
[١] الرحمة والرأفة بالنسل: الرحمة والرأفة بالنساء أدب وخلق أمر به ديننا الحنيف حيث قال ﷺ: (استوصوا بالنساء خيراً)^(٢). والوصية هنا وصية عملية، فتعان النساء في قضاء حوائجهن مثلما عمل الخليفة عمر مع هذه المرأة فحمل لها قربة الماء حتى دارها ومثلما فعل سيدنا موسى مع بنات شعيب بإخراجه لهن الماء من البئر.

[٢] صيانة المرأة لنفسها: فهذه المرأة تحتاج للماء، ولكن لا تخرج إليه إلا ليلاً فهذا إن دلّ إنما يدل على صيانة نفسها وابتعادها عن أنظار الرجال نهاراً وفي هذا مثال للمرأة المسلمة التي تتخلق بأخلاق الإسلام، فقد أمر الشرع بصيانة المرأة وإبعادها عن مواقع الرجال إلا لضرورات قصوى والماء أحد ضرورات الحياة ولكن هذه المرأة لا تخرج لطلب الماء نهاراً حتى لا يراها الرجال متأدبة بقوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾^(٣).

[٣] مساعدة الأرامل والأيتام: على الحاكم أن يعمل على مساعدة الأرامل والأيتام في رعيته ويتفقد أحوالهم.

[٤] عدم الاعتداد بالمنصب: من الأدب أن لا يعتد الإنسان بالمنصب ولا يتسرع في بيانه للناس فهذا يساعد في الاضطلاع على أحوال الرعية، فالخليفة عمر حينما حمل القربة للمرأة لم يخبرها بأنه الخليفة وحينما قال لها اذهبي غداً لعمر يأمر لك بخادم لم يخبرها بأنه

(1) خلفاء الرسول، خالد محمد خالد، مرجع سابق، ٢١٨.

(2) صحيح الإمام مسلم، مرجع سابق، ج٤، ص٦٠.

(3) سورة الأحزاب، الآية (٣٣).

الخليفة عمر.

[5] عفة اللسان : عدم سبّ المرأة للخليفة عمر يدلّ على حسن أدبها وعفة لسانها وهذا من الدين، بل قالت - إن عمر كثير شغله كيف أجده.

[6] عدم التحامل على الراعي : في حوار الخليفة عمر مع المرأة في القصة السابقة قالت: - عمر كثير شغله كيف أجده - من هذه العبارة، نُخلص إلى قيمة تربوية عظيمة وهي أنه من حسن الخلق عدم التحامل على الراعي بل نحاول إيجاد العذر له إن شعر أحدنا بتقصير الراعي معه ولا نسارع في لوم الراعي وإلقاء سبب آلامنا وأحزاننا عليه.

[7] تسهيل الدخول على الحاكم : وجوب تسهيل دخول الرعية على الحاكم لعرض مشاكلهم وهذا يقع على عاتق الحاكم بأن لا يجعل حاجزاً بينه وبين رعيته حتى يطلع على مشاكلهم وقضاياهم لمعالجتها، وقد صعب في زماننا هذا الدخول على الحكام والمسئولين علت درجة المسئول أو نزلت، فليس من السهل مقابلة المسئولين وهذا ليس من الدين في شيء، وقد يأتي المسئول إلى مكتبه متأخراً ويخرج باكراً دون معالجة قضايا رعيته، فهذا عمر يسهر الليل في حل مشاكل رعيته، فأين حكام ورعاة اليوم مما فعله الخليفة عمر مع هذه المرأة في القصة السابقة إذ لم تجد مانعاً من مقابلة الخليفة عمر لمعالجة مشكلتها.

[8] السعي في حل مشكلات الرعية : لا بد للحاكم أو الراعي أن يسعى بكل ما أوتي من قوة في حل مشكلات رعيته وتيسير سبل العيش الكريم لهم من ماء وكهرباء وغير ذلك من الحاجات اليومية، فهذا هو الخليفة عمر يحمل قربة الماء لهذه المرأة ويأمر لها بخادم يأتيها بالماء وباقي حاجاتها.

سادساً: قصة النهي عن تعجيل فطام الصبيان

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د . وقيع الله قسم السيّد أحمد

هذه حادثة أخرى من الحوادث التي شهدها الخليفة عمر وهو يتجول متفقداً
أحوال رعيته ليلاً. قال أسلم مولى عمر: (قدم المدينة رفقة من تجار، فنزلوا المصلى فقال
الخليفة عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن تحرسهم الليلىة، قال: نعم فباتا يحرسانهم
ويصليان، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه: اتق الله تعالى وأحسني إلى صبيك،
ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه، فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك، ثم عاد مكانه، فلمّا كان
آخر الليل سمع بكاء الصبي، فأتى إلى أمه فقال لها: ويحك إنك أم سوء مالي أرى ابنك لا
يغر منذ الليلىة من البكاء، فقالت: يا عبد الله إني أشغله عن الطعام فيأبى ذلك، قال: ولم؟
قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم، قال: وكم عمر ابنك هذا، قالت: كذا وكذا
شهرًا، فقال: ويحك لا تعجله عن الفطام، فلما صلى الصبح وهو لا يستبين للناس
قراءته من البكاء، قال: بؤساً لعمر كم قتل من أولاد المسلمين، ثم أمر مناديه فنادى: لا
تعجلوا صبيانكم عن الفطام، فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام، وكتب بذلك إلى
الآفاق)^(١).

التأمل في هذه القصة يستخلص منها عدّة دروس وعبر وقيم تربوية منها:

[١] الاهتمام بالضيف: لا بد من الاهتمام بالضيف ورعايته وتهيئة مكان نومه، حتى ينعم
بالراحة والأمن كما فعل الخليفة عمر وعبد الرحمن بن عوف مع وفد التجار الذين باتوا
في المصلى فسهر الخليفة عمر وابن عوف على حراستهم ليلاً.

[٢] سنة الرباط: من أبرز الدروس والقيم من هذه القصة سنة الرباط الليلي لحماية
الممتلكات والأعراض وهذا ما دعا له الخليفة عمر، عبد الرحمن بن عوف إذ قال له: هل

(1) البداية والنهاية، لابن كثير، دار التقوى مصر، ط١، ١٩٩٩م، ج٧، ص١٤٤.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د . وقيع الله قسم السيد أحمد

لك أن تحرسهم الليلىة - فسنة الرباط هذه فضيلة إسلامية عظيمة الأجر قال رضي الله عنه: (عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله)^(١).

[٣] قيام الليل : قيام الليل عبادة عظيمة وذات فوائد عدة للمؤمن وقد حدث عليها المولى عز وجل ورسوله الكريم وكان سلفنا الصالح يستمتعون بهذه العبادة ويمجّلون بها حياتهم، فهاهو الخليفة عمر وعبد الرحمن بن عوف باتا يجرسان هذا الركب ويصليان الليل قال أسلم - فباتا يجرسانهم ويصليان.

[٤] الاهتمام بعشاء الأطفال: هذا الطفل في القصة أعلاه لم يستطع النوم من شدة الجوع فعلى الآباء والأمهات الاهتمام بعشاء أطفالهم حتى ينعموا بالنوم ليلاً لأن الجوع يمنعهم ذلك.

[٥] وجوب عدم تعجيل فطام الأطفال لأنه ضار بهم صحياً ونفسياً.

[٦] مراجعة القرارات الإدارية: كان الخليفة عمر رضي الله عنه لا يفرض للطفل نفقة من بيت المال إلا بعد الفطام فلما رأى هذه المرأة تعجل فطام طفلها حتى تُفرض له نفقة، تراجع عن قراره وصار يفرض لكل مولود، فمراجعة القرارات الإدارية والتراجع عنها إذا ثبت خطأها سلوك ديني رفيع لا بد من التأدب به ولا تأخذنا العزة بالإثم فنتماذى في خطئنا.

[٧] تيسير سبل العيش الكريم : على الحاكم أو الراعي أو المسئول أن يسعى جاهداً لتيسير سبل العيش الكريم وتوفير لقمة العيش لرعيته، كما فعل الخليفة عمر بفرضه نصيباً من بيت المال لكل مولود يولد في الدولة الإسلامية، وفي ذلك تشجيع للإنجاب وزيادة الذرية والتكاثر الذي حث عليه الإسلام إذ قال رضي الله عنه: (تناكحوا تناسلوا فإنني مباح)

(1) رياض الصالحين، للنووي، دار الفكر بيروت، ٢٠٠٠م، ط٣، ج١، ص ٢٤٢.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د . وقيع الله قسم السيّد أحمد

بكم الأمم^(١).

[٨] التآني في إصدار القرارات : لابد من دراسة القرارات الإدارية التي ترتبط بمصير العباد وحياتهم دراسة متأنية حتى لا يضار أحد منها.

[٩] الرقة في التعامل مع الرعية: لابد للحاكم أن يكون رقيق القلب مع رعيته لدرجة أن يبكي إذا علم أنه أخطأ في حق أحد من رعيته فهاهو الخليفة عمر يبكي لما علم أن هذه المرأة تريد أن تعجل فطام ابنها لأن الخليفة عمر لا يفرض أو لا يمنح عطاءً إلا للفتيم فقد قال في ذلك أسلم - فلماً صلى الصبح وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء قال: بؤساً لعمر كم قتل من أولاد المسلمين -.

سابعاً: قصة بائعة اللبن:

قال أسلم مولى عمر بن الخطاب: (بينما أنا مع عمر بن الخطاب، وهو يعسُّ بالمدينة إذ عبي، فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل، وإذا امرأة تقول لابنتها: يا بنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء - أي أخلطيه - قالت: يا أمه أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين؟ قالت: وما كان عزمته؟ قالت: إنه أمر مناديه فنادى لا يشاب اللبن بالماء، فقالت لها: يا بنيه قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء، فإنك بموضع لا يراك فيه عمر ولا منادي عمر، فقالت الصبيّة: والله ما كنت لأطيعه في الملاء وأعصيه في الخلاء، وعمر يسمع كل ذلك فقال: يا أسلم علم الباب وأعرف الموضع، ثم مضى في عسسه، فلما أصبح قال: يا أسلم أمضِ إلى الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها، وهل لهم بعل؟ فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيم لا بعل لها، وإذا تيك أمها، وليس لها رجل، فأتيت عمر فأخبرته،

(1) أضواء البيان، للشنقيطي، دار الفكر بيروت، ١٩٩٥م، دون طبعة، ج٣، ص٤٤١.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د . وقيع الله قسم السيد أحمد

فدعا ولده فجمعهم فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه، ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية، فقال عبد الله: لي زوجة، وقال عبد الرحمن: لي زوجة، وقال عاصم: يا أبتاه لا زوجة لي فزوجني، فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم فولدت له بنتاً وولدت البنت بنتاً وولدت البنت عمر بن عبد العزيز رحمه الله^(١). هذه القصة سالفة الذكر من ينظر فيها يستخلص منها عدة دروس وقيم تربوية من أبرزها: -

[١] أهمية القدوة في التربية: القدوة في التربية من أنجع الوسائل المؤثرة في تربية الولد وإعداده خلقياً وروحياً وغير ذلك من الجوانب التربوية المهمة، فعلى الأباء والأمهات والمربين أن يكونوا قدوةً حسنةً لأبنائهم، فهذه المرأة تدعوا ابنتها لخلط اللبن بالماء وهذا مخالف لأمر القدوة، فالواجب على المربي أن يكون دائماً قدوةً حسنة في سلوكه وفعله وعمله.

[٢] البعد عن الغش والكذب: فالمرأة بائعة اللبن - في القصة أعلاه - تأمر ابنتها أن تخلط اللبن بالماء وهذا خلق ذميم إذ إنه غشٌ وقد نهى الشرع عن الغش والكذب، فهو من خصال النفاق قال صلى الله عليه وسلم: (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)^(٢).

[٣] طاعة ولي الأمر: طاعة تعاليم ولي الأمر ما لم تكن فيها معصية واجبة، فهذه البنت في القصة أعلاه تذكر أمها بأن أمير المؤمنين أمر بعدم خلط اللبن بالماء: إذ قالت البنت لأُمها - يا أمه أو ما علمت بما كان من عزيمة أمير المؤمنين؟ قالت: وما كان عزمته؟ قالت:

(1) مرجع سابق، علي محمد محمد الصلابي، ص (١٨٧-١٨٩).

(2) صحيح البخاري ج١، مرجع سابق، ص ٢٠.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلية د. وقيع الله قسم السيد أحمد

إنه أمر مناديه فنأى: لا يشاب اللبن بالماء.

[٤] الزواج بذات الدين : زواج ذات الدين أمر حث عليه الشرع لما له من دور في تكوين الأسرة الصالحة السعيدة وذلك لقوله ﷺ: (تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك)^(١). فلخليفة عمر عندما سمع حوار المرأة بائعة اللبن مع ابنتها وأن البنت رفضت أن تخلط اللبن بالماء، أُعجب بهذا السلوك وهذا الخلق العظيم ورأى أن هذه البنت صالحة ولا بد أن يزوجهما لأحد أبنائه فزوجها لابنه عاصم، ومن ذريتها كان الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز؛ فالعرق دساس.

[٥] جواز معصية الوالدين إذا أمر أحدهما أو كلاهما بمعصية الله : لأنه (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)^(٢) فهذه البنت عصت أمها ولم تطعها حينما أمرتها بخلط اللبن بالماء.

[٦] الاستشعار بمعصية الله : على المؤمن أن يستشعر معصية الله له وأن يعلم دائماً أن الله يراه ويعلم حركاته وسكناته فلا يعمل إلا ما يرضي الله تعالى، فالبنت التي دعتها أمها إلى أن تخلط اللبن بالماء رفضت وقالت لأُمها: إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أمر بعدم خلط اللبن بالماء، فقالت لها أمها إن أمير المؤمنين لا يراك، فقالت البنت لأُمها - ما كنت لأطيعه في المأ والأعصاه في الخلاء.

[٧] محاربة الغش : على الراعي أو الحاكم أن يعمل على محاربة الغش والتلاعب بمتطلبات الحياة الأساسية من مأكَل، ومشرب، وملبس، ومسكن، ودواءٍ وأن يهتم بمواصفات وجودة هذه المتطلبات كما فعل الخليفة عمر وأمر بعدم الغش في اللبن، ومن

(1) صحيح البخاري ، مرجع سابق، ج٣، ص٣٦٤.

(2) الروض المربع، إدريس البهوتي، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض، ١٣٩٠هـ دون طبعة، ج٣، ص٢٦٠.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د . وقيع الله قسم السيد أحمد

المؤكد لم يقف حرص الخليفة عمر على جودة اللبن فقط بل يكون قد شمل كل مطلوبات الرعية التي أقيمت لها اليوم المؤسسات لترعاها وتتابع سلامتها وصحتها كما نرى من مؤسسات المواصفات والمقاييس والجودة التي شملت كل أنحاء العالم.
ثامناً: قصة عمر والمرأة العجوز:

قال علي وناجي الطنطاوي: "خرج عمر في سواد الليل فرآه طلحة، فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل آخر، فلما أصبح طلحة، ذهب إلى ذلك البيت، فإذا بعجوزٍ مقعدة عمياء فقال: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى. فقال طلحة لنفسه: ثكلتك أمك طلحة! أعثرات عمر تتبع" ^(١) عند النظر في هذه الحادثة والتأمل فيها يجد الناظر عدداً من القيم التربوية منها:-

[١] عدم تتبع عثرات الناس: على الإنسان أن يؤدب نفسه على عدم تتبع عثرات الناس، والتطلع لمعرفة أسرارهم وأن يترك الخلق لخالقهم وأن يتعامل معهم بما ظهر له فهذا طلحة مشى خلف الخليفة عمر ولما عرف ما يفعله في هذه المنازل لام نفسه وزجرها وقال: ثكلتك أمك طلحة أعثرات عمر تتبع.

[٢] حسن الظن بالإخوان: على المؤمن أن يظن دائماً بإخوانه خيراً ويتعد عن الظن السيء بهم استجابة لقوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ ^(٢).

(١) مرجع سابق، علي وناجي الطنطاوي، ص ٣٤٤.

(٢) سورة النور، الآية (١٢).

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة . د. وقيع الله قسم السيّد أحمد

[٣] خدمة الكبار : خدمة العجزة والكبار فيها أجر عظيم عند الله سبحانه وتعالى وخاصة
المُقعدُ والأعمى.

[٤] إخلاص العمل لله : الخليفة عمر كان يخرج متخفياً وفي سواد الليل لخدمة هذه المرأة
العجوز وهذا أضمن لقبول الأعمال عند الله، لأنها تُعتبر عبادة سرية وخالصة لوجه الله
تعالى.

[٥] التواضع : الخليفة عمر كان متواضعاً وبسيطاً ويسير في خدمة الرعية بنفسه، وهذا
ديدن سلفنا الصالح.

الخاتمة:

جاء هذا البحث بعنوان (تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر الليلىة) وفيه

خُصَّ الباحث إلى النتائج والتوصيات التالية:

أولاً: أهم النتائج:

في نهاية هذه الدراسة توصل الباحث إلى عدة نتائج أهمها:-

[١] أكدت الدراسة أن الخليفة عمر رضي الله عنه قائد فذ وراعٍ ملهم

[٢] التأمل فضيلة إسلامية عظيمة وله فوائد كثيرة منها:

أ. أنه يقود إلى المعرفة.

ب. ويقوي الإيمان بالله.

ج. يساعد على عمل الطاعات.

د. وهو من أعظم أنواع العبادة.

هـ. يساعد على الفهم الأعمق للحياة.

و. أنه وسيلة لصفاء الذهن وتركيز الانتباه.

ز. وهو يعزز الصحة العقلية والنفسية والبدنية ويقضي على الأرق والقلق.

[٣] جولات الخليفة عمر الليلىة كان لها دور كبير في معالجة المشكلات والتي ما كان

للخليفة عمر أن يتعرف عليها لولا هذه الجولات الليلىة.

[٤] أورد الباحث في هذا البحث ثمان مشكلات أو أحداث ، سبع منها كانت لنساء، فهذا

يؤكد أن المرأة تحتاج دائماً إلى رعاية الرجل وحمايته ومساعدته وتوجيهه.

تأملات تربوية في جولات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الليلىة د. وقيع الله قسم السيد أحمد

ثانياً: أهم التوصيات:

[١] على القادة والحكام الإطلاع على سيرة الخليفة عمر رضي الله عنه للإقتداء والتأسي بما جاء فيها من أخلاق حميدة وفكر راشد.

[٢] التأمل فضله عظيم وفوائده كثيرة فلا بد للمؤمن من أن يجعل له ورداً من التأمل في خلق الله تعالى وفي الأحداث السابقة، التي حواها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وفي الأحداث المعاصرة.

[٣] على كل من وليّ أمر أناس أن يجتهد في معرفة أحوالهم ومعالجة مشكلاتهم وأن يتفقدهم ليل نهار.

[٤] أوصي بالنساء خيراً كما أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك إذ قال: (ما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهنّ إلا لئيم)^(١).

(1) كنز العمال، للهندي ج٦، مرجع سابق، ص ١٥٥.